# العوائق الإبستمولوجية للحصول على المعرفة حسب غاستون باشلار

## Epistemological obstacles to obtaining knowledge according to Gaston Bachelard


سهام ذيب[1،*] ، عادل لولو[2*]،

| | العنوان الكامل لمؤسسة الانتماء | البلد | البريد | الرتبة العلمية |
|---|---|---|---|---|
| 1* | سهام ذيب | الجزائر | s.dib@univ-soukahras.dz | أستاذ محاضر –ب– |
| 2* | عادل لولو | الجزائر | adel.loulou@univ-soukahras.dz | طالب دكتوراة |


يكون بخط Simplified Arabic ، فيه العنوان الكامل لمؤسسة الانتماء+ (البلد) + الإيميل خط مقاس 9


| | | | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| تاريخ الاستيلام | .. | .. | 2024 | تاريخ القبول | .. | .. | 2024 | تاريخ النشر | .. | .. | 2024 |



**الملخص:**

لا شك أن إبستمولوجيا غاستون باشلار كانت ولا تزال محط اهتمام العديد من الباحثين والمهتمين بالبحث العلمي، إذ استطاع من خلال كتاباته تسليط الضوء على أهم العوامل والعوائق التي تحول دون الوصول إلى المعرفة العلمية. فلا يُذكر اسمه إلا ويُستحضر معه مفهوم "القطيعة الإبستمولوجية". يُوظف باشلار مفهوم "العائق الإبستمولوجي" لشرح المظاهر المتعلقة بالركود والتراجع التي تصيب المعرفة العلمية في مرحلة معينة من تطورها. فهو يرفض اعتبار تاريخ العلم سلسلة من المشكلات التي تؤدي إلى بعضها البعض، أو أن حاضره تطور وإضافة على ماضيه، بل يرى أن هذا التاريخ يشهد اضطرابات واختلالات، ركودًا وتراجعًا، كما يشهد أيضًا ثورات وقفزات نوعية. وفي حين يُعتبر "القطيعة الإبستمولوجية" مفهومًا أساسيًا في إبستمولوجيا باشلار، فإنه يشرح المظاهر المتعلقة بالثورة والتجاوز في الفكر العلمي. لذلك، يعبر الجدل في تاريخ العلم عن عوائقه وانقساماته.



**الكلمات المفتاحية:** ابستيمولوجيا، غاستون ابشالر، العائق، المعرفة العلمية



**Abstract: There is no doubt that Gaston Bachelard's epistemology has been, and continues to be, of great interest to many researchers and those concerned with scientific inquiry. Through his writings, Bachelard was able to shed light on the most important factors and obstacles that hinder the attainment of scientific knowledge. His name is invariably associated with the concept of "epistemological rupture." Bachelard employs the concept of the "epistemological obstacle" to explain the phenomena of stagnation and regression that scientific knowledge experiences at certain stages of its development. He rejects the idea that the history of science is merely a series of problems leading from one to the next or that the present is simply an evolution and addition to the past. Rather, he views this history as one marked by disruptions, disturbances, stagnation, and regression, while also witnessing revolutions and significant leaps forward. The concept of "epistemological rupture," considered fundamental in Bachelard's epistemology, explains the manifestations of revolution and transgression in scientific thought. Thus, the debates in the history of science reflect its obstacles and divisions.**



**Keywords:** Epistemology, Gaston Bachelard, obstacle, scientific knowledge



*المؤلف المراسل: authorC@mail.com

## 1- مقدمة

إيميل دوركايم Émile Durkheim، في الفصل الأول من كتابه "قواعد المنهج السوسيولوجي"، كان يوجه نبه المنشغلين بعلم الاجتماع إلى المخاطر المحتملة التي يمكن الوقوع فيها عند دخوله مجال الدراسة الاجتماعية. فهو معرض للاحتفاظ بأفكاره يتوجب عليه في المنهج العلمي ككل أن يتجاوز العقبات الإبستمولوجية التي تعيق بحثه، وهي أخطاء ناتجة ليس بسبب صعوبة دراسة الموضوع بحد ذاته فقط، بل نتيجة للآليات والأساليب العقلية ذاتها التي يستخدمها الباحث.

غاستون باشلار درس هذه العوائق الإبستمولوجية بتفصيل كبير في العديد من أعماله، وهنا مقتطف من تلك الصفحات هنا نطرح سؤالا: ماهي العوائق الابستمولوجية في البحث العلمي التي حددها غاستون باشلار؟

### 1- حياته ومسيرته العلمية:

في موسوعة الدكتور عبد الرحمن بدوي (بدوي، 1992، صفحة 292) يقول عنه : فيلسوف علوم فرنسي ، ولد في بار على نهر الأوت في سنة 1884 وعلم نفسه مع ذلك، فكان يعمل ويتعلم، وعاني الأمرين وصف حياته وصفاً مريراً ومأساوياً في تلك الايام في كتابه " لهيب شمعة "، وبعد دراسته في الثانوية عمل موظفاً في البريد حتى سنة 1913 حيث حصل على الليسانس في الرياضيات والعلوم ، وفي أثر ذلك عين مدرساً للفيزياء والكيمياء في مدرسة " بار على نهر الأوب " الثانوية ، ثم حصل على الدكتوراه في الادب قسم الفلسفة " في السوريون عام 1927 وفي سنة 1930 أصبح أستاذاً للفلسفة في جامعة " ديجون " ثم عين أستاذاً لتاريخ العلوم وفلسفتها في قسم الفلسفة بكلية الآداب السوريون " بجامعة باريس ، وأستمر في هذا المنصب الى وقت تقاعده في سنة 1945 ، ويذكر الدكتور حنفي أنه لما أنتهى من الدراسة وانفتحت أمامه الابواب تزوج ، ويأبى الله الا أن تموت زوجته وتترك له بنتاً جميلة توفر على تعليمها وخرجها فيلسوفة من المبرزات تحتل مكانتها في دوائر المعارف وتشغل مؤلفاتها سع مساحة على رفوف المكتبات وأبنته اسمها " سوزان باشلار " وهي صاحبة كتاب " وعي العقلانية عند فينومينولوجيا هوسرل " وهي ما زالت اليوم أستاذة الفلسفة في السوربون وتوفي باشلار عام 1962 في باريس.

وحول مؤلفات باشلار يقول الدكتور بدوي " أن مؤلفاته تدور حول موضوعين أساسين هما : نظرية المعرفة العلمية والنزعة الشعرية المقترنة بالتحليل النفسي ، وعنده أن الموضوعين مترابطان فأن ما يكشف عنه التحليل النفسي من أسقاطات لرغباتنا على تصوراتنا للعالم ، هو ما يكشف عنه العلم عن طريق مجهود دؤوب وفي أتجاه مضاد لان النظريات العلمية تدمير للنظرات " أو لقصائد الشعرية.

### 2- تعريف الابستمولوجيا أو " نظرية المعرفة: "

من الناحية اللغوية كلمة " أبستمولوجيا " متكونة من كلمتين يونانيتين " أبستمي " ومعناها علم والثانية لوغوس وهي بمعنى علم أيضاً فهي أذن معناها اللغوي " علم العلوم " أو" الدراسة النقدية للعلوم. "

ولا يختلف المعنى الاصطلاحي كثيراً عن المعنى اللغوي فالابستمولوجيا هي نظرية في المعرفة كانت فيما سبق تختص بالبحث حول أسئلة تقليدية ، ما هي حدود المعرفة ؟ هل المعرفة ممكنة أم غير ممكنة ؟ ماهي وسائل المعرفة هل هي الحس أم العقل ؟ أم الحس والعقل معاً.

وهذه هي الاسئلة التقليدية التي كانت تدور حولها مباحث الابستمولوجيا في مؤلفات الفلسفة التقليدية : ولكن المقصود بالابستمولوجيا هنا معنى خاصاً غير المعنى التقليدي. (شعبان، 1993، صفحة 122)..

3- مفهوم العائق الابستمولوجي " المعرفي " عند باشلار :

من خلال كتابات باشلار يمكن أن نعرف العائق بأنه عنصر أو جملة عناصر تمنع الفكر العلمي من التطور أو تؤخر العلم عن النشاط ، وتعبر فترات الركود أو النكوص التي يعيشها العلم على وجود عوائق أبستمولوجية مرتبطة بالشروط النفسية للمعرفة في حد ذاتها وليست خارجية : " عندما نبحث عن الشروط النفسانية لتقدم العلم سرعان ما نتوصل الى هذا الاقتناع بأنه ينبغي طرح مسألة المعرفة العلمية بعبارات العقبات وليس باعتبار عقبات خارجية مثل تركيب الظواهر وزوالها ، ولا أدانة ضعف الحواس والعقل البشري ففي صميم فعل المعرفة بالذات تظهر التباطؤات والاضطرابات بنوع من الضرورة الوظيفية (صليبا، 1994، صفحة 39).

إن العائق المعرفي يتعلق بالذات العارفة وعلاقتها بموضوع المعرفة ، إن الذات أسقطت عن الواقع أحكامها المسبقة والذاتية بطريقة لاشعورية وعليه فالعائق الابستمولوجي من طبيعة نفسه أن مفهوم العائق يدل على فاصل بين مرحلتين مرحلة الجمود ومرحلة الانطلاقة حين يتم الكشف فيها عن هذه العوائق وهنا باشلار يعارض فكرة الانطلاق من الصفر أو حاول معرفة صورية للواقع منذ أول وهلة " إن الانطلاق من الصفر لتأسيس العقل وتطويره لا يمكنها أن تصدر الا عن ثقافات ذات تركيب بسيط إذ إن واقعة معروفة تكون ثروة على الفور (محمد، 2005، صفحة 202) .

العوائق الابستمولوجية تتصف بالتأريخانية فهي متجددة باستمرار وتحاول أن تتعصرن . العاصرة " ومع الفكر العلمي ولذلك وجب على الفكر العلمي أن يكون يقظاً مشركاً يحيل القيم السلبية والايجابية عليه أن يخرج القيم السلبية الميتافيزيقية في المعرفة العلمية والابقاء على القيم التي تواضعت مع التطورات العلمية ابستمولوجيا المعرفة عند غاستون باشلار

4- أنواع العوائق الانستمولوجية عند عند غاستون باشلار

يفهم باشلار العوائق الابستمولوجية بجدليته العقلانية فالعائق لا يقوم بوظيفة سلبية دائماً بل قد تؤدي أدواراً ايجابية في تقدم المعرفة العلمية ، ومنه فلا يمكن الحديث عن تطور للفكر العلمي بدون وجود العوائق ، ولذلك نعود لقول باشلار " ففي صميم فعل المعرفة بالذات تظهر التباطؤات والاضطرابات بنوع من الضرورة الوظيفية(*) ..

في كتابه " تكوين العقل العلمي " تحدث باشلار عن أبرز العوائق التي حالت الفكر العلمي عن التطور منها:

1. عائق التجربة الأولى:

المعرفة العامية تعتمد على التجربة الحسية وبالتالي فإن الواقع المباشر لا يقود إلى معرفة علمية والموضوع المباشر الذي تقدمه الحواس يلغي دور العقل في التفكير والنقد ويفرض عليه التصديق الكلي بكل ما تقدمه الحواس ، ولذلك فأن التجربة الأولى العائق الأكبر أمام تطور المعرفة العلمية ، إن أطروحة باشلار تتمثل في القضاء على مقاومة أغراء الصور الحسية . في الفكر القبعلمي سيطرت الطبيعة على الانسان إذ وقف عاجزاً أمامها ، ويذكر باشلار في ظاهرة الرعد مثلما كان يذهب جميع الناس بين كيف أن الرعد بإمكانه أن يفسد حفلاً موسيقياً (باشلار، 1985، صفحة 13)

إن الاحتكاك المباشر بالموضوع فتح المجال أمام الذات لتعيش فترة الاحلام والتخيلات التمثيلية مثل الكواكب المذكرة والؤنثة والمعادن الخيرة والأخرى الشريرة " إن التجربة الأولى لا تقدم الصورة الصحيحة للظواهر ولاحتى وصف الظواهر المنتظمة بدقة- (باشلار، 1985، صفحة 26)

إن التجربة الحسية عائق أبستمولوجي من الصعب اخضاعه للتحليل النفساني والوثائق المجمعة للمرحلة القبعلمية تطغى عليها الآراء الذاتية وتكاد تخلو من العلم... (باشلار، العقل العلمي الجديد تر : محمد الأزرق، 2003، صفحة 76)

2. <u>عائق المعرفة العامة:</u>

التعميم عقيدة سيطرت على الفكر البشري لمدة طويلة من الزمن في أيام أرسطو 384-322 ق.م إلى أيام روجر بيكون 1214-1294م، ويرجع باشلار السبب في ذلك الى محاولة الفلاسفة التقليديين تكييف نتائج العلم لما يناسب مذهبهم الفلسفي يقول باشلار "للفلسفة علم خاص بها وحدها هو علم العمومية" (باشلار، 1985، صفحة 47).

إن التحليل النفساني للمعرفة الموضوعية يكشف عن المتعة الفكرية السيئة المتولدة عن التعميم البسيط البديع فالفلاسفة مثلاً يقدمون تعميم أرسطو القائل " الاجسام الثقيلة تسقط والخفيفة تصعد بطريقة أكثر توسعاً جميع الاجسام تسقط بدون استثناء (باشلار، 1985، صفحة 47) أن مثل هذه التعميمات أن كانت فاعلة في المرحلة الفيعلمية فإنها اليوم لم تعد صالحة ولأن مثل هذه التعميمات قائمة على ا لقوله فقط وليست عقلانية فيكفي تحديد فعل " سقط " لفهم القانون الأرسطي واسم " الحياة ابستمولوجيا المعرفة عند غاستون باشلار لادراك أن كل الكائنات الحية تموت وهكذا وفي المرحلة العلمية يصبح القانون الأرسطي أدق بفضل جهود " نيوتن " ومبرهن عليه عقلانياً " في الفراغ تسقط الاجسام بنفس السرعة (باشلار، 1985، صفحة 49).

إن التعميم النيوتوني كذلك يعتبر عائقاً على الرغم وضوحه عن طريق تجربة صحيحة ، الأنه تعميم جمد الفكر وأعاق تقدمه، فمفهوم السرعة النيوتوني لم يترك المجال لمفهوم التسارع .

3. <u>العائق اللفظي:</u>

الفكر القبعلمي لا يميز بين المفهوم واللفظ ولا يميز بين الكلمة التي تصلح للتفكير والكلمة التي تضرب في نفس العصر من عصور المرحلة القبعلمية وتحت نفس اللفظ نجد مفاهيم شديدة التباين ، ونفس اللفظ يصف الظاهرة ونفس اللفظ يشرحها والتعيين يكون نفسه لكن الشرح مختلف مثلاً لفظ " الهاتف " يعبر عن تصورات

مختلفة عند الزبون لكن بالنسبة للهاتفي والمهندس والرياضي فأن الهاتف مفهوم مرتبط بمعادلات الفروق للتيار الهاتفي (باشلار، 1985، صفحة 49).

في الفكر القبعلمي يشكل كلمة واحدة قاعدة للتفسير الشامل وعليه تعتبر العادات اللفظية عوائقاً أبستمولوجية على الفكر العلمي تجاوزها ويتخذ باشلار من لفظة الاسفنجة مثالاً عن هذا العائق فهذه الكلمة اعتمد عليها في تفسير الكثير من الظواهر إذ إعتبر الهواء كالقطن أو الاسفنج بل أسفنجياً أكثر من أي جسم آخر على اعتبار أن كل الاجسام أسفنجية نتيجة لما يتميز به الاسفنج من خاصيتي التشرب والقابلية للتشكل ، فالتقال تضغط على الهواء وينفذ فيه الماء كما فسرت المادة والزجاج وغيرها بهذا التفكير الاسفنجي.

### 4. عائق المعرفة الموحدة التفعية:

الفكر القيعلمي فكر موحد ، فجميع الموجودات أرجعت الى مبدأ واحد وجميع الموضوعات تفسر بالاعتماد على النظم الوحيد الذي يحكم الطبيعة وجميع التجارب تؤكد هذا النظام وبالتالي أهملت التجارب التي تناقضه مثل هذا التفكير الحاق تقدم الفكر العلمي " بالنسبة للفكر القيعلمي تعتبر الوحدة مبدأ منشوراً أو متحققاً بأهون السيل (باشلار، 1985، صفحة 65).

### 5. العائق الاحيائي البيولوجي:

في الحديث عن العائق الأحيائي أكتفى باشلار بالحديث عن الظواهر الاحيائية التي كذبتها المعرفة العلمية فالحياة سمة الفكر القيعلمي والحياة تفسر على أساس جواهر الاشياء . تتشكل الطبيعة من ثلاثة عوالم الحيوان والنبات والجماد ، احتلت مملكتي الحيوان والنبات مكانة أرفع من المادة الجامدة ، فالمادة الحسية في المعرفة الساذجة أبسط وأوضح من المادة الجامدة ... وهذه النظرة ناقضها الفكر العلمي المعاصر ففي البيولوجيا يواجه الباحث عوائق أبستمولوجية أكثر من التي يواجهها دارس المادة الجامدة ، النزعة الأحيائية سيطرت حتى على العقول الجيدة الصنع ولم يسلم من هذا العائق حتى الافوازييه وكلود برنار وأوجست كونت.

### 6. العائق الجوهراني:

الموضوع في الفكر القيعلمي جوهر ثابت لا يتغير تحمل عليه الصفات الاساسية والثانوية السطحية والعميقة ، تعد الخصائص الاساسية قوائم الجواهر مهما تغيرت الاعراض مثل هذا التفكير تؤكده التجارب المباشرة . إن الجواهر كنموذج تفسيري عائق متعدد الوجوه الأوجه تقف حائلاً أمام الثقافة العلمية ، إن التلاعب بالالفاظ في تسمية الظواهر يرضي الفكر الساذج بسهولة ولفظ " عمق الجواهر من منظور ابستمولوجي معاصر لا يعبر عن العمق فعلاً ، بل العكس هو الصحيح فالمعرفة العامة سطحية وليست عميقة " يظل الشعور العميق شعوراً سطحياً . (باشلار، تكوين العقل العلمي تر: خليل أحمد خليل، 1985، صفحة 70) بل إنه يعبر عن عمق لاشعوري للذات العارفة ، أن " القشرة " الشكل صفة غير أساسية في الموجودات مثل البرتقال والبيض والخشب والاهمية تعطى للمضمون الصرف الانغلاق خاصية الفكر القبعلمي والمحافظة على الاشياء لابد من إحكام غلقها " تغليفها " حتى الحصى يكون أكثر صلابة من الداخل أكثر من الخارج " القشرة "

فالجوهر هو الباطن وما هو مغلق يحتاج الى مفتاح وبالتالي لفظ مفتاح " يأخذ معنى سحرياً في الفكر الكسول " أفتح ياسمسم . فالسكين مفتاح البرتقال والزيت مفتاح الكبريت (بوغالم، 2018، صفحة 112).

ويرى باشلار أن العقبة الابستمولوجية تكمن دائماً في صميم المعرفة بشكل عام وهي تظهر بذاتها كنوع من الضرورة الوظيفية.

لقد عالج البعض فكرة العقبة متخيلاً أنها ليست نتيجة للشروط الخارجية العملية المعرفة ولا للحواس والفكر كوسيلتين ذاتيتين للمعرفة عند الإنسان إنما هي نتيجة للشروط النفسية للمعرفة وبرأي الدكتور عماد فوزي شعيبي أن هذه المعالجة تخلو من الدقة والفهم الاعمق الفكرة العقبة الابستمولوجية التي أضفاها باشلار على الفكر الإنساني والخيال العلمي . أن العقبة كامنة في كل شروط المعرفة وفي كل معرفة بحد ذاتها إذ إنها عملية ربط تحث باشلار في تكوين العقل العلمي وربط هذا التكوين بالتحليل للمعرفة العلمية ، ربطاً ساذجاً يغيب فكرة العقبة هي من صميم المعرفة بالذات لأن المعرفة تقيم بنائها بحيث تحجب ما لم يتم التفكير فيه ذلك أن أسرة، كما أن معرفة أبناء عصر ما تفسرها تظل عقبة أو فكرة مضادة وعند اكتشاف العقبة يتم الاسهام في تأسيس مبادىء التحليل النفسي للعقل ، لكن باشلار لم يقل هنا أن السمة الوحيدة المرتبطة بالعقبة هي أنها حاجز نفسي إذ إن لها سمات أخرى بنيوية وعند تعداد العقبات وبيان تفصيلها سوف نلحظ أنها أشكاليات تكمن في بنية المعرفة ذاتها (شعبي، 1999، صفحة 287) وهي:

إشكاليات تأتي نتيجة عمل الخيال الصوري وهذه العوائق هي:

الاختبار الأول

التعميم

العقبة الجوهرية

العائق الأحيائي

الخاتمة :

يناقش باشلار كيف أن **النمو الفكري** يتطلب التحول المستمر، وكيف أن العوائق الإبستمولوجية جزء لا يتجزأ من عملية الاكتشاف العلمي. بدلاً من السعي إلى الوحدة واليقين، يجب على العلماء **التشكيك** في الأفكار الراسخة، وطرح أسئلة جديدة، والبحث عن **التنوع والتمييز** في الظواهر العلمية..

## الإحالات والمراجع:

1. باشلار ,غ .(1985) .تكوين العقل العلمي تر :خليل أحمد خليل .بيروت :المءسسة الجامعية للدراسات والنشر.

2. باشلار ,غ .(2003) .العقل العلمي الجديد تر :محمد الأزرق .وهران.

3. بدوي ,ع .ا .(1992) .موسوعة الفلسفة .عمان.

4. بوغالم ,ج .(2018) .العائق من الإبستمولوجيا إلى الديداكتيكية التوظيف الديداكتيكي لمفهوم العالق الابستمولوجي .الاكاديمة للدراسات النفسية والاجتماعية.112 ,

5. شعبان ,ح .(1993) .برونشفيك وباشلار بين الفلسفة والعلم ، دراسة نقدية .بيروت :دار التنوير.

6. شعبي ,ع .ف .(1999) .الخيال ونقد العلم عند غاستون باشلار .دمشق :دار طلاس.

7. صليبا ,ج .(1994) .المعجم الفلسفي، ج . 2بيروت :الشركة العالمية للكتاب.

8. محمد ,ه .(2005) .تكوين مفهوم الممارسة الابستيمولوجية عند بشلار .المغرب :إفريقيا الشرق.